عودة التهديد الإرهابي
تحدي جيوسياسي وأمني

جان فرانسوا فيورينا
ترجمة: محمد الجرطي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2021
All rights reserved © 2021

عودة التهديد الإرهابي
تحدي جيوسياسي وأمني[1]

جان فرانسوا فيورينا

ترجمة: **محمد الجرطي**

---

1 - **CLES -** ***Comprendre Les Enjeux Stratégiques*** **- Note hebdomadaire n° 139 - 11 septembre 2014**

Le retour de la menace terroriste? Un enjeu géopolitique autant que sécuritaire

Par Jean-François Fiorina ; Directeur adjoint de Grenoble Ecole de Management Directeur de l'ESC Grenoble

منذ ثلاثة عشر عاما، في الحادي عشر من سبتمبر 2001، ضُربت الولايات المتحدة في الأعماق من قبل موجة من الهجمات القاتلة؛ هجوم ورد فعل زعزعا بشكل عميق أساس علاقات القوة الجيوسياسية. وعلى الرغم من الحرب العالمية على الإرهاب التي سن مرسومها وقادها جورج بوش، لا يزال التهديد الإرهابي حاضراً اليوم أكثر من أي وقت مضى. رفعت بريطانيا مستوى التأهب الأمني إلى درجة شديدة، بينما قدمت الحكومة الفرنسية في أوائل الصيف مشروع قانون «لتعزيز الأحكام المتعلقة بمكافحة الإرهاب» بمعرفة الوقائع؟

التهديد الجهادي بالنسبة إلى الدول الأوروبية يكمن تحديداً في مشاركة المئات من المواطنين الأوروبيين في «الحرب المقدسة» في سوريا، وأيضاً العراق تحت العلم الأسود للدولة الإسلامية (داعش). إن القلق المشروع الناتج عن الانتهاكات التي ترتكبها بفظاعة الدولة الإسلامية والخطر المعلن بسبب العودة الممكنة إلى أوروبا لمئات المجاهدين المدربين بحنكة والمتعصبين، كل هذا يدعو إلى فهم أفضل للظاهرة الإرهابية. يبدو التهديد الإرهابي أكثر تعقيداً بكثير وغير عقلاني، حيث تصعب مقاربته على ضوء الأحداث الراهنة فقط.

برفع بريطانيا في 29 غشت 2014 مستوى التأهب الأمني من مستوى «كبير» إلى مستوى «شديد»، فإن لندن تبرر التعبئة بسبب التهديد الإرهابي الذي يمثله المئات من البريطانيين المدربين على الجهاد في العراق وسوريا. حذر رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون قائلا: «مع الدولة الإسلامية (داعش) نواجه التهديد الأكبر والأخطر الذي لم نشهد مثيلا له من قبل أبداً «. لهذا جاء على لسان وزيرة الداخلية تيريزا ماي، إذا كان هجوم إرهابي يُعتبر أمراً «محتملاً للغاية» فليس ثمة معلومات ملموسة عن «تهديد وشيك». نفس الوضع في فرنسا، حيث يعتقد رئيس الوزراء مانويل فالس أن خطر الهجمات الإسلامية اليوم هو «التهديد الأكبر»، ولا نعرف ما إذا كانت أجهزة الاستخبارات لديها معلومات ملموسة أم لا. فضلا عن ذلك، عبّر وزير الداخلية بيرنار كازانوف عن قلقه البالغ، وقدم مشروعا لتعزيز التدابير اللازمة لمكافحة الإرهاب، حيث صرح للصحافة قائلا: «بوجود 900 من المواطنين الفرنسيين في سوريا، وهم يواجهون البربرية في أفظع تجلياتها كما نعلم، فإننا أمام ظاهرة غير مسبوقة». فهم الخطر الإرهابي وخاصة الإسلامي، يتطلب معرفة أفضل لهذه الظاهرة الخطيرة.

الإرهاب: فلسفة الفعل

بصفته باحثا في شؤون الاستخبارات، يؤكد جيرار ديسمارتز أن ما نعرفه أو نعتقد أننا نعرفه عن الإرهاب هو عموماً حكم قيمة، في حين أن «الإرهاب يبقى في المقام الأول أسلوبا في القتال المستخدم من طرف مقاتلين مدنيين». يستخدم هؤلاء «المقاتلين» أنماط عملية، إن لم تكن متشابهة، فهي على الأقل قابلة للمقارنة تمليها في المقام الأول البيئة التي يشتغلون فيها. في المناطق الحضرية، يبقى الإرهاب خطراً رئيساً، وفقاً للباحث جيرار ديسمارتز مشيراً إلى مصنف بعنوان «دليل حرب العصابات في المناطق الحضرية» الذي كتبه عام 1969 المناضل الشيوعي البرازيلي كارلوس ماريجيلا. ويستشهد بدليل على ذلك بتجدد تقنيات الإرهاب. الوثائق التي تم العثور عليها في ركام تنظيم العقيدة تتضمن المبادئ الكبرى للحرب الثورية: «إن الغرض من الإرهاب هو أن تمارس فعلا إرهابياً» يقول كارلوس ماريجيلا؛ سلاح للتواصل أكثر مما هو سلاح للحرب. يستهدف الإرهاب بشكل رئيس وسائل الإعلام ومن خلالها المجتمعات التي يساهم في الواقع في تفتيتها – ولا سيما بسبب الميول المناهضة للديمقراطية أو مكافحة الإرهاب.

إن أهداف وتقنيات الإرهاب معروفة بشكل عام: تفجيرات، هجمات مسلحة واغتيالات، خطف طائرات وتدميرها، القرصنة البحرية، الإرهاب الإلكتروني، أو الإرهاب بغاز السارين كما حدث في مترو طوكيو من قبل طائفة أوم في 20 مارس 1995، أو حملة رسائل الجمرة الخبيثة في الولايات المتحدة في الأسابيع التي تلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001. وتبقى الحقيقة أن الإرهابيين – وعلى غرار المجرمين الآخرين – أثبتوا قدرة قوية على التكيف مع التحولات وخاصة مع العولمة. إن قرار المجلس الأوروبي في 13 يونيو 2002 المتعلق بمكافحة الإرهاب المستوحى بشدة من القانون الإنجليزي لمكافحة الإرهاب يشير إلى أن: «الإرهاب له تاريخ طويل، لكن الذي يجعل الإرهاب في العصر الحديث أكثر خطورة بشكل خاص، على خلاف الأعمال الإرهابية في الماضي، هو الآثار الفعلية أو الموجودة بقوة للهجمات المسلحة المدمرة والقاتلة على نحو متزايد. هذه القدرة على التدمير تعود إلى التطور المتزايد، وإلى الطموح القاسي للإرهابيين أنفسهم، كما أظهرت ذلك في السنوات الأخيرة الأحداث الرهيبة في 11 سبتمبر 2001. قد ينتج هذا التدمير أيضاً عن التطور التكنولوجي، سواء فيما يتعلق بمجال الأسلحة والمتفجرات التقليدية كما هو الشأن أيضاً في المجالات الأكثر رعباً للأسلحة الكيميائية والبيولوجية أو النووية. بالإضافة إلى ذلك، ظهرت أشكال جديدة من الإرهاب في عدة مناسبات في الآونة الأخيرة، وأدت التوترات في العلاقات الدولية إلى تجدد نشاط الهجمات ضد نظام المعلوميات.

ظاهراتية الإرهاب الإسلاموي «الجديد»

في حين تظهر أشكال جديدة من الإرهاب مثل القوات المسلحة الثورية الكولومبية أو إرهاب ماراثون بوسطن في أبريل 2013، أو ظاهرة «الذئاب المنفردة»، يرتكز الاهتمام اليوم على الإرهاب الإسلاموي وعلى تجديد مرجعية الجهاد. الرغبة في «العودة إلى الأشياء ذاتها» تتطلب أن نعرف عماذا نتحدث وهذا ما يدعو إليه آلان باور في كتاب له عن الإرهاب. وبالتالي يشير الباحث نفسه إلى أن «الموجة الراديكالية الجديدة» تعود أصولها إلى تضافر عدة عوامل: انتقال الإرهاب إلى دول الشرق الأوسط، نتائج الحرب الأهلية اللبنانية، تجدد ضرورة الجهاد (التي دعا إليها مؤخراً الإخوان المسلمون)، التجربة العابرة للأوطان والقارات لحركة تنظيم القاعدة (التي هي في حد ذاتها استفادت من الدعم الغربي المقدم للمجاهدين الأفغان، والذي تم تجديده من قبل الأحادية القطبية الأمريكية بعد الحرب الباردة). وبالمثل، فإن داعش اليوم؛ أي الدولة الإسلامية في العراق والشام هي تجمع لمجموعة من المتطرفين ظهرت عقب تحالفها مع القاعدة في بلاد ما بين النهرين والجماعات الإسلامية المتشددة في محافظة الأنبار والذين استفادوا من الدعم الدولي الغربي المقدم للمقاتلين ضد نظام الرئيس السوري بشار الأسد. «بالإضافة إلى الدعم الإقليمي والدولي والتنظيم المتطور، فإن داعش اتخذت كنموذج في التحالف التوليفة القائمة بين حزب الله ونظام البعث السوري والحزب البلشفي في الاتحاد السوفياتي سابقاً. تتميز داعش بتنظيم فعلي وهرمي ينشر الرعب داخلياً وخارجياً. لقد ضم هذا التنظيم إلى صفوفه محاربين مدربين (من ليبيا والشيشان والدول الغربية ومناطق أخرى...) يُعرف هذا التنظيم بالحزم والقسوة ورفض أية مبادرة للتفاوض. تتطلع داعش إلى إقامة دولة بديلة للدول الحالية، حيث بدأ يحشد الأنصار والمؤيدين. إنشاء دولة «الخلافة» أصبح بلا شك مسألة وقت فقط في ليبيا في ظل غياب رد فعل حازم وقوي وتنسيق محكم مع الدول الغربية التي تتحمل المسؤولية أيضاً في دعم الجهاد في سوريا وارتكاب أخطاء بدعم الجماعات المتطرفة...

أي ردود دولية ضد التهديد الإرهابي؟

عانى دحر الإرهاب لفترة طويلة من عدة عقبات: صعوبة تصنيفه من الناحية القانونية، وبالتالي تفاوت النهج في مختلف الأنظمة القانونية الدولية. تمت الآن إزالة هذه العقبات القانونية. على المستوى الأوروبي، اتفاقية المجلس الأوروبي لمكافحة الإرهاب الموقعة في 16 مايو عام 2005، والتي صادقت عليها باريس في 13 فبراير 2008 تتيح تنسيق أفضل لمكافحة الإرهاب. في فرنسا، قانون 9 ديسمبر 1986 يحدد العقوبة الجنائية التي تسمح بتقييم الطبيعة الإرهابية لنشاط ما عن طريق الجمع بين معيارين: ثمة وجود جريمة أو مخالفة جنائية تهدف إلى الإخلال بالنظام العام أو نشر الفوضى والرعب. أثبتت هذه القاعدة فعاليتها

في مكافحة الإرهاب لكنها لم تؤدّ إلى دحره نهائياً. هذا هو الغرض اليوم من الإصلاح المقترح في فرنسا الذي يعتمد خاصة على تحسين المحيط، والكشف عن الجهاديين المدربين في حين أن بريطانيا تتجه إلى اتخاذ تدابير حازمة على نحو متزايد: مصادرة جوازات السفر، تحديد إقامة المشتبه بهم، مراقبة الشرطة للمسافرين المغادرين من وإلى سوريا والعراق...

ومع ذلك، تبقى إحدى الطرق لوقف تهديد انتشار الجهاد في أوروبا هي الطريقة الأكثر كلاسيكية: التنسيق مع الدول والشركاء أو على الأقل مع الخبراء في الجماعات الإرهابية. في هذه الحالة، فيما يتعلق بداعش (الدولة الإسلامية في العراق والشام) يجب التنسيق والتعاون مع بعض الدول في الخليج العربي – الفارسي؛ وذلك بجعل هذه الدول تفهم، عن طريق القنوات الدبلوماسية ومن خلال أجهزة الاستخبارات إذا اقتضى الحال، ما هي الحدود التي تعتزم الدول الغربية تحديدها لهم في دعم الجهاديين العابرين للحدود والأوطان؛ أي حرمة الأراضي الغربية. مع العلم أن هذه الدول ليس لها أية مصلحة – إلا كرسالة تحذيرية – في تنفيذ هجمات إرهابية في فرنسا أو أوروبا عموماً. وعلاوة على ذلك، على الرغم من طبيعة الحال أن الوضع لازال يتطور والدولة الإسلامية (داعش) التي تضم «جهادين من أوروبا» قد تتمرد على الدول الراعية لها، فإن بعض الأحداث المعزولة قد تحدث اليوم ونتأسف لذلك، مثل أعمال مهدي نموش، المشتبه في أنه وراء الهجوم على المتحف اليهودي في بروكسيل، أو أعمال محمد مراح في عمليات إطلاق نار وقتل جماعي سنة 2012 في فرنسا. في نهاية المطاف، يؤدي الإرهاب إلى تقوية الدول بدل إضعافها وعلى هذا الأساس يشكل قضية جيوسياسية.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com

All rights reserved © 2021

جميع الحقوق محفوظة © 2021